

مِنْ أَعْمَالِ الْحَيْرِ أَوْ إِسْعَادِ يَتِيمٍ أَوْ أَنْ تُحَوِّلَ حَيَاَتَكَ وَحَيَاَةَ أَحِبَّائِكَ إِلَى سِجْنٍ بِالْقِمَارِ وَالْأَعْابِ الْحَظِّ الَّتِي تُدَمِّرُ الْبُيُوتَ.

أَيُّهَا الْأَبَاءُ وَالْأَمَهَاتُ!

وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ فَإِنَّ أَطْفَالَنَا أَمَانَةً فِي أَغْنَافِنَا. إِنَّ السَّبَبَ الرَّئِيْسِيَّ لِرُؤُوفِهِمْ فِي الْأَخْطَاءِ وَالذُّوبِ هُوَ الإِهْمَالُ. يَتَوَقَّعُ أَطْفَالُنَا مِنَ أَنْ تُقْدِرُهُمْ، وَأَنْ تَكُونَ إِلَى جَانِبِهِمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْجَيْدَةِ وَالصَّعْبَةِ عَلَى حَدٍ سَوَاءٍ. نَعَمْ لَقَدْ حَلَّتْ عَلَيْنَا أَيَّامٌ تَهْطُلُ فِيهَا أَمْطَارُ الرَّحْمَةِ بِعَزَّارَةِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. إِنَّ الْأَشْهُرَ الْثَّلَاثَةِ الْحُرُمِ وَلَيَالِي الرَّغَائِبِ هِيَ مَنَاجُ رُوحِي يَفْتَحُ بَابَ التَّوْبَةِ، وَنَافِذَةً لِلْأَمْلَى، وَبَلَسْمٌ شَافِ لِلْقُلُوبِ، إِنَّ الْإِسْتِفَادَةَ الْقُصُوْيَّ مِنْ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ الْمُبَارَكَةِ، يَقْصَدُهَا جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ وَقَلْبًا إِلَى قَلْبٍ مَعَ أَطْفَالِنَا، وَتَقَاسُمُ نَفْسِ الْمَائِدَةِ فِي الْمَتْرِلِ، وَنَفْسِ الصَّفِّ فِي مَسَاجِدِنَا، سَيَكُونُ أَكْبَرَ مَكْسِبٍ لَنَا.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

يُخْرِجُنَا تَبِيَّنَا الْحَبِيبُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ أَنَّ رَبَّنَا الْعَظِيْمَ قَالَ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، يُبَدِّي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ^۱. نَعَمْ أَيُّهَا الْإِخْوَةِ وَالْأَخْوَاتِ الْأَعْرَاءُ! إِنَّ مِنْ وَاحِدِنَا أَنْ تُنْدِرَكَ قِيمَةَ الْوَقْتِ، وَأَنْ تُحَوِّلَ كُلَّ لَحْظَةٍ إِلَى مَكْسِبٍ أَبَدِيٍّ، وَأَنْ تُمْضِي حَيَاَتَنَا فِي طَاعَةِ رَبِّنَا وَعَلَى خُطَى تَبِيَّنَا، وَأَنْ تَكُونَ فِي اسْبِجامٍ مَعَ دَلِيلِنَا فِي الْحَيَاَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ تُبَارِكَ بُيُوتَنَا بِنُورِهِ، وَأَنْ تَسْعَى جَاهِدِينَ لِنَيْلِ رِضا رَبِّنَا، لَا أَنْ تَشْبَعَ أَهْوَاءَنَا وَرَغْبَاتَنَا، وَأَنْ تَشْرُكَ عَادَاتِنَا السَّيِّئَةَ وَرَاءَنَا، وَتَحْمِي أَنْفُسَنَا وَأَطْفَالَنَا مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ.

أَوْ أَنْ أَهْنِئَكُمْ مِنْ الْآَنَ عَلَى الْأَشْهُرِ الْثَّلَاثَةِ الْحُرُمِ وَلَيَلَةِ الرَّغَائِبِ، وَأَنْ أَخْبِمْ حُطْبَتِي بِسُورَةِ الْعَصْرِ الَّتِي تُرْشِدُنَا إِلَى طُرُقِ تَحْوِيلِ حَيَاَتِنَا الْرَّازِيَّةِ إِلَى سَعَادَةِ أَبَدِيَّةٍ: وَأَنْعَصِرُ^۲ (۱) إِنَّ الْإِنْسَنَ لَفِي حُسْنِ^۳ (۲) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الْصَّلِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ^۴.

^۱ صحيح البخاري، كتاب الأذان، 36.

^۲ صحيح البخاري، كتاب الأدب، 101.

^۳ سورة العصر، 103، 1-3.



وَالْعَصْرِ^۱ (۱) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْنِ^۲ (۲) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبَرِ^۳. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، يُبَدِّي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

يُمْكِنُنَا تَحْوِيلُ كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَى مَكْسِبٍ أَبَدِيٍّ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكَرَامَا

الْوَقْتُ نِعَمَةٌ عَظِيمَةٌ وَالْخِتَارُ مُهُومٌ مِنَ اللَّهِ. فِي الْوَاقِعِ، طُولُ الْوَقْتِ وَقَصْرُهُ مُرَتَّبَانِ بِالْمَسَاعِرِ الَّتِي تَعِيشُهَا. هُنَاكَ أَوْقَاتٌ تَكُونُ فِيهَا الْلَّحْظَةُ سَيَاوِي عُمْرًا كَامِلًا، وَلَا تُرِيدُهَا أَنْ تَمُرَّ. وَهُنَاكَ أَوْقَاتٌ يَعْمُرُنَا فِيهَا الْحُزْنُ، وَنَتَمَنِّي أَنْ تَنْتَهِي عَلَى الْفَوْرِ. هُنَاكَ لَحْظَاتٌ تَمَلَّأُ أَرْوَاحَنَا بِالسَّلَامِ، وَفُتَرِحُ قُلُوبَنَا. وَهُنَاكَ لَحْظَاتٌ أُخْرَى تَنْزِلُ عَلَيْنَا كَالْكَابُوسِ وَتُضَيِّقُ قُلُوبَنَا وَمَعَ ذَلِكَ، هُنَاكَ أَوْقَاتٌ مُعَيَّنَةٌ يَفْتَحُ فِيهَا اللَّهُ تَعَالَى أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ عَلَى مِصْرَاعِهِ، وَيَمْتَحِنُهَا لِعِبَادِهِ. شَهْرُ رَجَبٍ أَوْ الْأَشْهُرِ الْثَّلَاثَةِ الْحُرُمِ الَّتِي سَنَسْتَقْبِلُهَا يَوْمُ الْأَحَدِ الْمُقْبِلِ، وَلَيَلَةِ الرَّغَائِبِ الَّتِي سَنَدْرِكُهَا فِي الْلَّيْلَةِ الَّتِي تَرْبِطُ بَيْنَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، هُمَا هَدِيَّتَانِ مِنْ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا.

أَخْيَ الشَّابُ^۵

أَنْتَ تَعِيشُ أَكْثَرَ فَتَرَاتِ حَيَاَتِكَ إِثْمَارًا. أَنْتَ مِنْ بَيْنِ أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرُهُمْ تَبِيَّنَا^۶ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ ظِلٌّ آخَرُ. فِي يَدِكَ أَنْ تَقْضِي هَذِهِ الْفَتَرَةَ مِنْ حَيَاَتِكَ إِمَّا فِي أَعْمَالٍ مُفَيْدَةٍ تَقْوُدُكَ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ، أَوْ فِي أَعْمَالٍ حَاطِنَةٍ سَتَنْدَمُ عَلَيْهَا لَاحِقًا، فِي يَدِكَ أَنْ تَقْضِي وَقْتَكَ فِي بَرَكَتِهِ بِالسُّجُودِ بِجَهَنَّمِكَ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ أَنْ تُصْبِيَ بِالْحَمْرِ الَّذِي يُعَسِّي عَقْلَكَ، وَالْمُخْدِرَاتِ الَّتِي تُعَرِّضُ صِحَّتَكَ لِلْخَطَرِ. فِي يَدِكَ أَنْ تَقْضِي أَيَّامَكَ بِالصَّيَامِ فَتَبْلُغَ الطَّمَانِيَّةَ، أَوْ أَنْ تُحَوِّلَ حَيَاَتَكَ إِلَى سِجْنِ بِالرِّزْنَا وَالْفُجُورِ، كَمَا أَنَّ فِي يَدِكَ أَنْ تُصْبِحَ جَارًا لِتَبِيَّنَا^۷ فِي الْعَالَمِ الْأَبَدِيِّ، مِنْ خَلَالِ الْقِيَامِ بِعَمَلٍ صَغِيرٍ